المحاضرة الثانية

تاريخ قواعد التفسير والكتب المدونة فيها

تعرض المفسرون والباحثون في علوم القرآن منذ العصور الغابرة والأيام الماضية إلى يومنا هذا لبيان قواعد التفسير من خلال مباحثهم التفسيرية أو أبحاث العلوم القرآنية.

أما تأليف كتاب مستقل في هذا الفن، فهو مما لم يعتنوا به في الأعصار الماضية ، لكن في عصرنا الحاضر صار مطمحا لنظر العلماء والباحثين في علوم القرآن، فدونوا كتبا قيمة، وستأتي الإشارة إلى بعضها .

نشأة قواعد التفسير والكتب المؤلفة فيه :

- لم يتوفر لدينا مؤلفات مستقلة في هذا الفن، فلا يمكن أن نفصّل الحديث عن نشأته، لكن يمكن أن نقول إن بواكير هذا العلم قد ظهرت في العهد النبوي على يد أفضل الخلق نبينا محمد صلى الله عليه وآله ، والعترة الطاهرة ، ثم على يد أئمة التفسير من بعده من الصحابة والتابعين ، فكانت نشأة قواعد التفسير مواكبة لنشأة علم التفسير إلا أنها كانت متفرقة ومنثورة ضمن كتب التفسير ثم ازدادت بازدياد كتب التفسير .
- **في القرن الثاني الهجري** : دخلت قواعد التفسير طوراً جديداً، إذ ظهرت جملة منها مدونة في أول كتاب ظهر في أصول الفقه وهو " الرسالة" للشافعي ، وكذا كتاب "أحكام القرآن" له أيضاً.

- **في القرنين الثالث والرابع** : اتسع نطاق التدوين لقواعد التفسير في كتب التفسير والأصول واللغة كـ " تأويل مشكل القرآن" لابن قتيبة، وكتاب "جامع البيان" للطبري، " وأحكام القرآن" للطحاوي ، " وأحكام القرآن" للجصاص.
- **في القرنين الخامس والسادس** : ظهرت مؤلفات كثيرة في التفسير وأصول الفقه واللغة أمثال "الإحكام" لابن حزم ، "والبرهان" للجويني ، "وأصول الفقه" للسرخسي ، "والمستصفى" للغزالي ، "والمحرر الوجيز" لابن عطية ، "وفنون الأفنان" لابن الجوزي ، وغيرها.
- **في القرنين السابع والثامن** : ظهرت مؤلفات جديدة حافلة بالقواعد كمؤلفات ابن تيمية ، وخاصة رسالته المطبوعة باسم (مقدمة في أصول التفسير) ، ومؤلفات تلميذه ابن القيم ، "والبحر المحيط" لأبي حيان، وتفسير القرطبي، وتفسير ابن كثير، "والبرهان في علوم القرآن" للزركشي ، "والمنثور في قواعد الفقه" ، "والبحر المحيط في أصول الفقه" له أيضاً ، ومؤلفات ابن رجب ، "والإتقان في علوم القرآن" للسيوطي ، "والتحبير في علم التفسير" له أيضاً، وبعده " الفوز الكبير في أصول التفسير" للشاه ولي الله الدهلوي ، وكثيرين بعدهم، وهذه الكتب من أصول التفسير أو أصول الفقه أو علوم القرآن لكن يذكر فيها مؤلفوها قواعد كثيرة من قواعد التفسير.

وهكذا ظلت قواعد التفسير مبثوثة في بطون الكتب في القرون الخمسة اللاحقة ما بين كتب التفسير وأصوله وقواعد الفقه وأصوله.

كتب ومصنفات حديثة في قواعد التفسير:

باتت حركة التآليف في فن قواعد التفسير بطيئة حتى القرن الرابع عشر الهجري، فظهرت في هذا القرن كتب قيّمة، نتعرض لذكر بعضها:

- (أصول التفسير وقواعده) خالد بن عبد الرحمن العك .
- (قواعد التفسير، جمعا ودراسة) خالد بن عثمان السبت.
- (قواعد الترجيح عند المفسرين) حسين الحربي.
- (تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه) علي بن سليمان العبيد .
- (القواعد الحسان تفسير القرآن) عبد الرحمن السعدي

نبذة عن كتاب الشيخ خالد بن عبد الرحمن العك :

إن كتاب (أصول التفسير وقواعده) من أحسن ما صدر في هذا الفن، وهو يتكون من ستة أقسام:

القسم الأول: مدخل لدراسة أصول التفسير وقواعده. وجاء بعدة أبحاث مرتبطة بها : كمكانة التفسير– وتعريف أصول التفسير– وعلوم القرآن– وعلم التفسير– وتأويل القرآن– والفرق بين التأويل والتفسير.

القسم الثاني : يكون في قواعد التفسير في المنهج العقلي والنقلي. وفي الحقيقة يتولى مناهج التفسير وألوانها.

القسم الثالث : بحث عن قواعد التفسير في بيان دلالات النظم القرآني من الترادف، والاستعارة، والتشبيه ، والحقيقة ، والمجاز، والمحكم، والمتشابه، والنسخ، والإعجاز.

القسم الرابع: بحث عن قواعد التفسير في حالات وضوح الألفاظ القرآنية، من واضح الدلالة، ومبهم الدلالة، ودلالة الألفاظ على الأحكام .

القسم الخامس: بحث عن قواعد التفسير في حالات شمول الألفاظ القرآنية، من العام، والخاص، والمشترك .

القسم السادس: بحث عن قواعد التفسير في ضوابط الألفاظ القرآنية: من حيث الرواية، والقراءة والكتابة ، والتدوين، والترجمة.

نبذة عن كتاب الشيخ خالد بن عثمان السبت:

يتكون كتاب (قواعد التفسير جمعا ودراسة) من:

- المقدمة المنهجية.
- والمبادئ (المقدمة العلمية).
- والمقاصد.

أما المقاصد فهي التي احتوت على أكثر من (160) قاعدة عبر ثمانية وعشرين مقصدا. وفي كل مقصد من المقاصد يعنون بـ (القواعد المتعلقة بكذا).

ومنها : القواعد المتعلقة بأسباب النزول – القواعد المتعلقة بتفسير القرآن باللغة .. وغيرها، ثم ذكر تحت هذه العناوين القواعد المرتبطة بها، منها:

- قاعدة : العرب تخرج الكلام مخرج الأمر.
- قاعدة: لا زائد في القرآن.
- قاعدة : التوكيد ينفي احتمال المجاز.
- قاعدة : مهما أمكن حمل ألفاظ القرآن على عدم الترادف.
- قاعدة : الأمر المطلق يقتضي الوجوب، إلا لصارف.
- قاعدة : الأمر بالشيء يستلزم النهي عن ضده.
- قاعدة : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.
- قاعدة : حذف المتعلق يفيد العموم.

أما الكتب الشيعية فيبدو من المرور الخاطف في الآثار التفسيرية والقرآنية انهم لم يعتنوا كثيرا بهذا الفن، والسر في ذلك: أنهم دوّنوا هذه القواعد في كتبهم الأصولية أو الفقهية. وقد وجدنا بعض الكتب المختصة بقواعد التفسير، منها: (توشيح التفسير في قواعد التفسير والتأويل) تأليف الميرزا محمد بن سليمان التنكابني ، وهو أول من صنف من الشيعة في هذا الفن تأسيا بالفقهاء في تأسيس القواعد، وذكر المصنف في كتابه هذا عدة من القواعد التي رآها ضرورية للتفسير، وعبر عنها بـ (لابد للمفسر...) مثل :

- لابد للمفسر أن يتبين ملاحة الآيات القرآنية
- لابد للمفسر ذكر المحسنات اللفظية وبيان المحسنات المعنوية

- لابد للمفسر غاية النظر والتدبر في آيات الكتاب المبين
- لابد أن يفهم المفسر ويخرج من الآيات البراهين والاستدلالات في العلوم لدفع المناقضات.

المناهج المتبعة في التأليف في القواعد عموما:

لم يقتصر العلماء الذين ألفوا في القواعد على طريقة واحدة، بل تعددت طرائقهم ومناهجهم في التأليف في هذا الفن، فمن هذه المناهج:

- الترتيب الهجائي: كالزركشي في كتابه " المنثور في قواعد الفقه"
- الترتيب الموضوعي: وعلى هذا جرى السبكي في كتابه " الأشباه والنظائر"
- الترتيب على طريقة التبويب: كالأبواب الفقهية، وممن سار على هذا الأسلوب المقري المالكي في كتابه " القواعد"
- ذكر القواعد دون ترتيب معين: وعلى هذا أكثر الذين دونوا في التفسير، يذكرونها هكذا متناثرة ، مثل ابن رجب في " القواعد الفقهية" ، والسيوطي في الإتقان، والزركشي في البرهان ، وغيرهم كثير

كتب التفسير وعلوم القرآن المشتملة على القواعد:

هناك كتب أخرى في التفسير وعلوم القرآن اشتملت على أصول التفسير، وقواعده، نذكر بعضها:

- **مقدمة تفسير مجمع البيان:** للشيخ الطبرسي من المفسرين في القرن السادس، أشار المؤلف في مقدمة الكتاب إلى سبعة فنون لابد للمفسر من معرفتها.
- **البيان في تفسير القرآن:** للسيد الخوئي قدس سره، فقيه أصولي من أجلّ العلماء في القرن الرابع عشر للهجرة، بحث الخوئي في كتابه هذا عن أمهات مباحث علوم القرآن ومباني التفسير، مثل: حقيقة القرآن – والقراءات – وصيانة القرآن من التحريف – وحجية ظواهر القرآن – والنسخ في القرآن .
- **مدخل التفسير:** للشيخ محمد الفاضل اللنكراني الفقيه الأصولي، من العلماء المعاصرين. بحث المؤلف في كتابه عن علوم القرآن، وأشار إلى عدة أصول للتفسير وقواعده ، نحو : حجية ظواهر الكتاب ، وحجية قول المعصوم، وحجية حكم العقل.
- **البرهان في علوم القرآن:** للزركشي ، وهذا الكتاب من الكتب العتيدة، جمع فيه المؤلف علوم القرآن كلها في سبعة وأربعين نوعا، فيكون كثير من مباحثه مما يجب على المفسر أن يعلمه.
- **الإتقان في علوم القرآن:** للسيوطي ، وهذا الكتاب كثير من مباحثه مما يجب على المفسر أن يعلمه، وفتح أبوابا أورد فيها القواعد المهمة التي يحتاج المفسر إليها في التفسير، وجاء بشروط التفسير وآدابه .
- **محاسن التأويل:** المشتهر بـ (تفسير القاسمي) لمؤلفه القاسمي
- **مناهل العرفان في علوم القرآن:** للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني
- **المدخل في التفسير الموضوعي:** للدكتور عبدالستار فتح الله سعيد